الفصل الثالث

في انتخابه بطريركًا وجلوسه على كرسي انطاكية
وفي ما عرض له من الصعوبات والمقاومات
١٦٧٠ – ١٦٧٤

كان انتقال البطريرك جرجس من حياة الرجا إلى عالم الحق في غيبة المطران إسطفان وليس بيدنا دليل على أنه بلغه خبر وفاته في قبرس. واتفق ان شدة وطأة الطاعون منعت مطارين الطائفة وأساقفتها وأعيانها عن الاجتماع لانتخاب خلف له في البطريركية وكان في غضون ذلك ان المطران إسطفان أتمّ رسالته في قبرس وزيارة الرعية وبرح الجزيرة عائدًا إلى لبنان فنزل في قوف أي مركب وقدم إلى طرابلس[١] فصادف في المدينة عند نزوله مكاري الكرسي فسلمه أمتعته وتوجّه توًا إلى قنوبين فوجد هناك المطران جرجس حبقوق البشعلاني والمطران جبرائيل البلوزاني والمطران بولس الدويهي وجمعًا حافلاً من الأوجه والأعيان فبلغوه خبر وفاة راس الطائفة وكان بلغه هذا النبأ بالتواتر عند نزوله إلى البترون إلا انهم لم يجتمعوا بحسب الرسوم لانتخاب بطريرك جديد حتى توفي القس انطونيوس الرزي الذي كان وكيل دير قنوبين[٢] وقد أعاقهم عن الاجتماع بوقته خوفهم من وطأة الوباء لأن القس انطونيوس المذكور أصيب به.

إن التاخر في الشؤون الكبيرة يفتح أبواب الخلاف والنزاع والمخاطرات التي لا طائل تحتها. ولا نعلم تمامًا ما حدث في تلك الآونة بعد فروغ الكرسي البطريركي انما الذي نعرفه هو ان بعض الحكام الزمنيين أرسلوا كتابات للمطارين والرهبان ووجهاء الطائفة يبدون لهم بها استعدادهم

https://patriarchdoueihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Eden Zgharta

---

[١] قد رأينا أن نثبت هنا وصف مدينة طرابلس نقلاً عن جبرائيل الصهيوني الإهدني ويوحنا الحصروني المارونيين في كتاب وضعاه باللاتينية عنوانه: في بعض المدن المشرقية الخ ص ٥٤ وما يليها.
"طرابلس من أقدم المدن السورية... واسمها (المدن الثلاث) مشتق من المدن التي كانت مركبة منها في القديم. موقعها على مسافة ميل واحد من البحر فوق اكمتين بعضها يرتفع متدرجًا على تلال رائقة المنظر والقسم الآخر في السهل الذي يمتدّ أمامها. ومن جهة البحر أرض فسيحة تزين المدينة وتفيض عليها الخيرات وفي هذه البقعة عدد وفير من أشجار التوت وجنائن الاترنج والرمان وقصب السكر. ومن الناحية الأخرى المطلة على لبنان بساتين الزيتون الككثيفة وفيها الاثمار اللذيذة وهذه البساتين على مسافة خمسة عشر ميلاً في الطول وثمانية أميال في العرض وأشجار الزيتون المذكورة سبب ثروة أهل المدينة. وفي وسط هذه البقعة نهر عذب يقسمها شطرين متساويين ومصر ميائه في لبنان وتتوزّع مياؤه على البساتين وتفيض الخصب على ضفتيه. وبعد خروجه من المدينة يسقي البساتين التي في أسفلها ويمتزج بالبحر المالح على بعد ميل واحد. ويجوز في المدينة أيضًا ماء ينبوع آخر وهذا الينبوع في سفح جبل لبنان وتسير مياؤه في قناة إلى المينا على مسافة ميل واحد وتحيي سكان المينا. وطرابلس مشهورة بطيب فاكهتها على اختلاف أنواعها وبكثرة الخمر والزيت والحنطة وسائر الحبوب. ومن أخص الأثمار التي تنبت في حدائقها الموز. وليس للمدينة أسوار بل لها على شاطئ البحر أبراج مربعة الشكل منيعة وعلى إحدى الاكام قلعة حصينة ويخبر أهل المدينة أنّ الافرنج بانوها. أمّا ما يجعل مدينة طرابلس في مكان من العز والأهمية فهو كونها مجتمع التجار وإليها تفد البضائع الثمينة من جميع أنحاء البر والبحر ومنها تصدر إلى الأقطار الشاسعة الخ.

[٢] انطونيوس ابن سركيس الرز من بان أرسله البطريرك يوسف حليب العاقوري برفقة عبد الغال اخيجان مع موسى البشراني وحنا ابن عويضه الغزيري وصافي القديسي من شننعير سنة ١٦٤٦. وبعد رجوعه من رومة ترهب في دير قنوبين وخدم البطريرك جرجس في الكتابة. ولما توجه البطريرك المذكور إلى كسروان جعله وكيلاً على كرسي قنوبين فاصابه الوباء واختطفه في شهر أيار سنة ١٦٧٠.

للمحافظة على عوائدهم القديمة المقدسة ويستنهضوهم إلى انتخاب خلف للبطريرك جرجس دون خوف من محذور. فكتب الباشا حاكم طرابلس ما نصه:

اعلام إلى سائر المشايخ والأعيان بناحية جبة بشري بوجه العموم. هو انه بلغنا انتقال البطرك جرجس بدير قنوبين[٣] فيلزم إلى بطرك مكانه. بوصول هذا المرسوم إليكم تنظروا إلى رجل من أهل الدين ويكون أهل علم عندكم معتمدًا عليه والذي تفهمه اختياريتكم[٤] ويقع عليه الاتفاق في ما بين ربة[٥] دينكم ويكون له أهلية تامة لذلك تقيموه بطركًا ويعمل استمالة وطيبان خاطر إلى سائر الرعايا ويطيب خاطرهم من العمار والإصلاح كما جرت العوائد القديمة وتكونوا طيبين الخاطر من سائر الوجوه وتعلمون ذلك وتعتمدونه غاية الاعتماد. حرر سنة واحد وثمانين وألف في ٢ محرم".

وهذا مكتوب آخر من رجل لم نعرف سوى اسمه.

بعد السلام على المطارنة والقسوس وسائر أعيان جمعية الموارنة بناحية الجبة وفقهم الله تعالى.

وبعده الذي نخبركم به ان رهبان دير قنوبين [illegible] أرسلوا يذكرون لنا ان بطركهم ومرادهم عليهم يتوقف لأجل اصطلاح ديرهم بطرك كجاري عادتهم وطلبوا منا أن نحرر لكم مكتوبنا هذا بخصوص ذلك فالمراد انكم تقيمون على الدير المذكور من تعتمدون عليه بربة دينكم كجاري عوائدكم القديمة وتكونون طيبين الخاطر من سائر الوجوه ما عدا عن الدير تخلي بكل ما يلزم. تعلمون ذلك والسلام.

الفقير **محمد جاويش**

https://patriarchdoueihy.com/Ehden-Zgharta
Maronite Patriarchal Eparchy

ومهما كان من مسبب لهذه الكتابات فبعد انتقال القس انطونيوس المشار إليه سابقًا اجتمع المطارنة والأعيان وغب المداولة والابتهال إلى الله قرروا انهم لا يقيمون بطريركًا عليهم غير المطران إسطفانس فلما درى بذلك هبت في نفسه شعائر القديسين وتمثلت لعينيه صورة الأحبار الفضلاء الذين رسموا أقوال الإنجيل بأعمالهم الطاهرة وظهروا كالكواكب النيرة في سماء بيعة المسيح. وتذكر الآباء الذين حسبوا كل شيء كالزبل ليربحوا ربهم وفروا إلى البراري ليربحوا ربهم

[٣] يريد بطرك دير قنوبين.
[٤] الشيوخ.
[٥] أرباب الدين ورجاله.

وفروا إلى البراري هربًا من مجد العالم الغرور. فهرب المطران إسطفانس واحتجب عن أعين الناس. غير انه لم ينل أمنيته واضطر إلى قبول البطريركية ووظيفة راعي الرعاة. وانتشر الخبر فملأ القلوب فرحًا وهلل الشعب تهليلاً وكان يوم انتخابه وجلوسه من أبهج الأعياد وأبهاها.

إلا ان الفرح لم يكن بدون كدر ولا ذلك اليوم البهب بدون غيوم وسبب هذه الأكدار هو انه كانت العادة من قديم الأيام ان وجوه الطائفة يحضرن انتخاب البطاركة كما انه كان لهم يد في تعيين الأساقفة والمطارين وهذه العادة تسلمها الموارنة من أجدادهم والقاري لا يجهل انها كانت مأنوسة ليس فقط عند الطوائف الشرقية بل أيضًا في الغرب عند الأمم المسيحية جميعها الا انها ألغيت عندهم قديمًا وحافظ عليها الشرقيون وإلى اليوم يجري عليها بعض مواطنينا. أما في طائفتنا فقد أبطلها المجمع اللبناني وحفظ حقوق الانتخابات المذكورة للرؤساء الروحيين أيي البطاركة والمطارنة والأساقفة الذين وضعهم الروح القدس في البيعة ليدبروها ويسوسوها وهذا هو عين الصواب. والعادة المشار إليها كانت مستحسنة في الاعصار الأولى لما كانت الشعوب ذات غيرة على الدين ثم اضحت سببًا للخصام والنزاع لما دبت المآرب البشرية والروح العالمي في نفوس المسيحيين فصار تدخل أهل العلم وأصحاب القوة في أمور الكنيسة تعديًا على سلطان غيرهم ومبدأ شرور كثيرة كما خبر ذلك غيرنا في أوقات شتى. فلأجل هذه الأسباب وخلافها حكم الأحبار الرومانيون بإبطال العادة المنوه بها فأطعنا أمرهم ورضخنا لإرشاداتهم.

وكان في الأيام التي كلامنا فيها مقدم الطائفة ووجهها وعيلمها الشيخ نادر الخازن المعروف بأبي نوفل الذي لأجل إحساناته العميمة وغيرته على الدين كتب إليه البابا اسكندر السابع رسالة فخيمة مدح فيها أعماله وتقواه[٦] ومنحه لقبًا شرفيًا وسماه كولير رومانيًا سنة ١٦٥٦. ثم أنعم عليه ملك فرنسة لويس الرابع عشر بفرمان شريف ووكل إليه القنصلية في بيروت وجرى ذلك سنة ١٦٥٩ على يد المطران اسحق الشدراوي العالم الشهير الذي ترك لنا خبر سفرته إلى فرنسة في كتاب المعلم والتلميذ[٧] وصادقت الدولة العليا على وظيفة أبي نوفل المنوه بها بفرمان شاهاني تعطف به عليه السلطان محمد الرابع بتايخ ١٠٧٤ هجرية. وكان أبو نوفل متفردًا بالذكاء والفطنة. ولأجل منزلته الرفيعة وغيرته في سبيل الصالح العام استاء من إقامة البطريرك الجديد دون مشورته وحضوره. ولو عرف مناقب البطريرك المنتخب لما برّأه تمسكه بالعوائد القديمة مهما كانت من لوح المؤرخ. لكنه بعد زمان يسير أدّى له واجب الطاعة وبالغ في إكرامه لما شاهد فيه

http://patriarchdouaihy.com Maronite Patriarchal Exarchy Eparchy Ehden Zgharta

[٦] هذه الرسالة أثبتها طابع تاريخ الأزمنة ص ٢٣١ ونسبها غلطًا إلى الشيخ حيدر إذ لا وجود لاسم حيدر في الأسرة الخازنية وقتئذ لكن الناقل قرأ حيدرًا بدلاً من نادر في اللاتينية كما تأكد لنا ذلك من معاينة الكتابة الأصلية.
[٧] راجع مجلة المشرق سنة ١٨٩٩ ص ٩٣٩ وما يليها.

ذكاء العقل وعلامات القداسة وروى البعض[٨] ان البطريرك إسطفان قدم إليه إلى كسروان واكتسب رضاه برقته واتضاعه.

إن وداعة البطريرك إسطفانس أخفت عن معرفتنا خبر ما وقع بعد انتخابه فقال البعض انه حصل على رضا أبي نوفل حالاً وانه وجه قاصده إلى رومية في أواخر فصل الصيف سنة ١٦٧٠. والصحيح ان البطريرك إسطفانس أتى إلى كسروان وأخمد بمشهد فضائله نفور الشيخ نادر وأحلافه ودليل ذلك تاريخ الرسالة التي كتبها الدويهي للبابا إقليمس العاشر بطلب التثبيت والباليوم وهي محفوظة في السجل الذي جمعه ورتبه الدويهي نفسه فهذه الكتابة صادرة عن دير مار شليطا مقبس في شهر آب سنة ١٦٧١. ويستدل أيضًا ان سفر القس يوسف شمعون الحصروني إلى رومة كان سنة ١٦٧١. ويستدل أيضًا ان سفر القس يوسف شمعون الحصروني إلى رومة كان سنة ١٦٧١ من كتابة ورديان القدس[٩] التي سنوردها إن شاء الله.

وكان انتخاب إسطفانس إلى البطريركية في اليوم العشرين من شهر أيار المبارك سنة ١٦٧٠ وفي اليوم الثاني والعشرين صارت مهلة ترقيته في كنيسة دير قنوبين. وبعد ارتقائه السدة البطريركية الانطاكية على ما ذكرنا استدعى القس يوسف بن بربور الحصروني[١٠] وسامه قسيسًا وأرسله إلى رومة ليقدم باسمه الطاعة للكرسي الرسولي ويلتمس من رئيس الأحبار التثبيت ودرع لارياسة جريًا على عادة سلفائه المغبوطين. وسلمه مطارين الطائفة وأعيانها أوراق الانتخاب والتماس التثبيت كما هي العادة إلى يومنا هذا. وكان يتعين البطريرك الجديد من إرسال قاصده حالاً بعد ارتقائه لأنه اضطر أن يأتي كسروان أولاً هربًا من جور الحكام الذين كانوا في الجبة وثانيًا لأجل الوقوف على خاطر ورضا الذين كانوا اجهروا بعدم قبوله لهذا المنصب السامي. وبعد أن بلغ أمنيته وفاز بالمقصود همّ بإجراء المقتضيات الرسمية مع الكرسي الرسولي كما يستدل من تاريخ الكتابات الآتية. وسلم إلى القس يوسف شمعون رسالة باسمه للاب الأقدس جمع فيها درر المعاني وأفصح بالتعبير عن تعلقه بالسدة الرسولية وهذه هي بحروفها كما دوّنها في السجل المعروف باسمه وهنا يرى القاري كيف أن الفصاحة تقوم بصدق شعائر القلب وارتفاع المعاني لا بسبك الكلام ورنة الألفاظ:

https://patriarchdetaihy.com/ | Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

---

[٨] المقاطعة الكسروانية ص ٩٤.

[٩] ورديان لفظة ايطاليانية Guardiano ومعناها الناظر أو المحافظ وهو رئيس رهبان مار فرنسيس المعروفين برهبان القدس ويدعونه اليوم الكستود.

[١٠] هو نعمه أو نعمة الله ابن الخوري يوسف (وفي رواية: الخوري يعقوب) الحصروني ذهب إلى رومة ابن عشر سنين وبعد أن أتمّ دروسه برح المدينة العظمى في ٢١ تشرين الأول سنة ١٦٦٨ وعيّنه البطريرك كاتبًا عنده فمكث في هذه الوظيفة إلى أن رقاه البطريرك إسطفان إلى القسوسية على مذبح سيدة قنوبين في ٢٦ أيلول سنة ١٦٧٠. ولنا كلام فيه نثبته في الآتي إن شاء الله. قيل عنه: كان في سيرته طاهرًا وبمضمون سريرته ظاهرًا... الف كتابًا مفيدًا في علم الذمة يتضمّن الأمور اللازمة للمؤمن لتدبير سيرته وخلاص نفسه وهو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة لخص فيه قواعد الآداب الدينية وجعله بأربعة وعشرين بابًا. وله رسالة جدلية إلى أحد أبناء الطائفة الملكية. نشرها الخوري مخايل غبريل في تاريخ الكنيسة الانطاكية.

"إلى جانب الأقدس في الكملاء والمطوب في الفضلاء أب الآباء ورئيس الرؤساء سيدنا وتاج روسنا الحبر الأعظم ومدبر يبيعة الله الفخم مار إقليمس العاشر[11] الجالس على الكرسي الروماني الطاهر. خليفة بطرس السليح[12] ونائب على الأرض للسيد المسيح. إسطفانس الهدناني بطرس المنتخب بطريركًا على مدينة الله انطاكية وما يليها. ألوف تقبيلات وافيات وتسليمات صافيات.

من أراد يكسر عطشه فليقصد ينبوع الماء الجارية. ومن اشتهى يريح سفينته من العواصف فليرسيها في مدينة الراحة. والله سبحانه وتعالى قد اثر منذ البدء بكرسي رومية دون غيره في سائر الآفاق ليكون عنده ينبوع حكمة الخلاص لكل مضطرم إذ هو بنفسه طلب لجل ان لا ينقص إيمانه وشيد أركان بيعته على الصفا الثابتة لتكون بيت ملجأ لكل تائه. فإلى هذا نبع الحكمة الكائن برومية العظمى يجي ان يسرع كل عطشان. وفي هذا مينا الأمان يستريح كل مسافر فيجدا لنفسهما حياة وخلاصًا. يقول أيوب الصديق[13]: الذهب والفضة لهما معادن ومسابك يؤخذان منها والحجارة الكريمة لها أماكن توجد فيها. وأما الحكمة أين توجد وأين هو مستقرّ المعرفة. كأنه يقول أن الحكمة الطبيعية لها أرباب والقضايا البشرية لها سادات. أما حكمة الله ومعرفة بيعته التي هي أساس الحق وعاموده فليس لأحد. زعم أريوس أن حكمة الله عنده وكذلك نسطور وديسقورس وبيروس وسائر شيع الأراطقة الملاعين ان معرفة الحق في كنائسهم لكن كذّبهم النبي[14] جميعًا لأن الغمر قال ليست فيّ ونطق البحر أنها ما هي معي. بل ان الله علم طريقها وهو يعرف مكانها. يريد أن ما أحد من البرايا استدلّ على معرفة الحق إلاّ الذي اهتدى من الله. فلما سأل السيد المخلص تلاميذه[15]: ماذا يقول الناس عني انا ابن البشر. فجاوبوه: قال البعض إنّك إرميا والبعض إيليا أم واحد من الأنبياء ولم يستدل أحد منهم على الصواب إلا سمعان الصفا الذي قبل الرؤيا من العلا ونادى قائلاّ: أنت هو المسيح ابن الله الحي. لموضع ذلك بعد ما طوبه قال له: أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة أبني بيعتي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. قد حنق عدو جنسنا وأخرج من أبواب الجحيم ضد كنيسة بطرس ملوك الكافرين وشيع اليهود وجنود الغير مؤمنين وجوقات المبدعين فلاطموها لكن لأن أساسها على الصخر لاثابت لم يقووا عليها بل هلكوا الريوسيون وفنوا الديسقوريون ودثرت جميع الشيع المضادة. وكنيسة

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Epachy Ehden Zgharta

[11] كان انتخابه في ٢٩ نيسان سنة ١٦٧٠ ودبر شؤون الكنيسة الكاثوليكية إلى أواخر تموز سنة ١٦٧٦.
[12] لفظة سريانية تعريبها الرسول.
[13] ايوب: ٢٨:١.
[14] ايوب: ٢٨:١٤.
[15] متى ١٦:١٣ وما بعد.

بطرس لم تتزعزع. فاض بحر النفاق واستعبد بموجه كل من كان خارج سفينة بطرس. وأما هي فوحدها وصلت إلى مينا الخلاص. بسبب ذلك الملة المارونية منذ بدء الكنيسة لم تزل طائعة لكرسي قداستكم الطاهر. ومن حين قبلت علامات الإيمان من الرسل القديسين لم تزل في وسط الكفار والمبدعين خاضعة طائعة لسننكم. وهم بشبه الخراف الإنجيلية[١٦] صاغيين آذان قلوبهم ليسمعوا صوت الراعي الصالح ويتبعونكم. فيجب على عناية وحلم قدسكم ان مثل راس الرعاة تحولوا وجه حنيتكم إليها. وإذ هي مشتتة من الذئاب الكاسرة ومبددة بين سياجات المبدعين تنادوها بصوتكم الكريم وتدعوها باسمها فلم تزل تقتفي أثركم.

ومن جهتنا نحن تلميذ قدسكم وتربية كرسيكم نعلم ابويتكم المطوبة ان سالفنا البطريرك جرجس بطرس الانطاكي انتقل بالوفاة إلى رحمة الله الدائم فاجتمعوا إخوتنا المطارين المكركين وأولاكم رؤساء الديورة وأعيان شعبكم الماروني والزمونا إذ نحن غير مستحقين ان نتخلف عليه في كرسي انطاكية المقدّس كما هو واضح من رسالتهم وختوماتهم الواصلة إلى بين أيادي قدسكم. فالآن أيها الآب الأقدس هوذا نحن قائمين بين أيادي شرفكم وناصتين لكلامكم وطالبين تعاليمكم. فنسأل قدسكم انه كما أمركم رب الرعاة قائلاً الخلاص لكم بأقنوم بطرس الطوبان: فأنت عاود ثبت إخوتك[١٧] يكون حسن نظركم علينا وتشرفونا بارسال البركة مع التثبيت والردع الحبري كما جرت العادة بين سلفائكم وسلفائنا الذين انتقلوا إلى رحمة الله وكان في خاطرنا ان نجي نحن بأقنومنا نتشرف بنظركم الكريم ونقبل أيديكم الطاهرة ونتبارك من فمكم قدسكم لكن أحاطت بنا قوة الظالمين وشتتوا رعايانا وطردونا من مواطنا. بسبب ذلك بعثنا ولدكم القس يوسف الحصروني حتى يرمي لكم الطاعة باسمنا. أملنا بقدسكم جزيل الرحمة أن تشملوه بحنيتكم ولا سيما حلمكم انه يحتاج لأحد وترسلوه عاجلاً إلينا لأننا في استنظاره ومهما عملتم معه ومع هذا الكرسي الانطاكي ومع ملتكم المارونية من الخير هو لكم عند الله سبحانه وتعالى. ولم نزل طالبين من كرم الباري أن يمد في أيام قداستكم ويؤيد دولتكم ويحفظ في الأمان والسلام تحت أجنحة رحمته وتحت كنف عنايتكم ويحفظ في الأمان والسلام تحت أجنحة رحمته وتحت كنف عنايتكم الكنيسة الرومانية وأولادها سائر الكنائس التي في أربع افاقات العالم. وبعد رمي المطانيات نقبل أياديكم المقدسة.

حرر في دير مار شليطا مقبس في بلاد كسروان في أربعة وعشرين خلت من شهر آب سنة ١٦٧١ ربانية".

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Eparchy Zgharta

[١٦] يوحنا ١٠.
[١٧] لوقا ٢٢:٢٣.

وبينا صورة تحرير من رئيس رهبان القديس افرنسيس في القدس الشريف إلى البابا إقليمس العاشر ومن التاريخ الذي في آخره يستدل أيضًا كما سبق القول ان معتمد البطريرك إسطفانس لم يتوجّه إلى رومة لطلب التثبيت إلا سنة ١٦٧١. وهذه صورة الكتابة المشار إليها نقلاً عن أصله اللاتيني المحفوظ بخط الدويهي في ورقة بالية.

"إلى الطوباوي الأقدس أبينا بالمسيح وسيدنا الحبر الأعظم إقليمس العاشر. من الحقير الخ ثيوفيلس نولا ورديان جبل صهيون المقدس.

اننا في هذه الأنحاء المشرقية المنتشر عليها ظلام الضلال والارتقات لسنا نعرف نحن عبيد قداستكم اللاتينيين أمة أخرى (غير الشعب الماروني) أختنا بالإيمان وشريكتنا بالطاعة وناصرتنا بالعمل. وامتثالاً لقول الذي أوصانا أن نحب الجميع ولكن بالخصوص بني الإيمان قد تعلقنا بالأمة المارونية من صميم فؤادنا حتى صرنا نفرح بإقبالها كما لو كان لنا ونحزن لبلاياها. وجعلنا تعزيتنا وسلوانا في عرض مصائبنا لأب الجميع ورئيس الكل. انه قد بلغني في العام المنصرم ان بطريرك هذه الطائفة بعد أن لاسى أهوالاً خارقة العادة ومظالم شتى واضطهادًا لا يطاق اضطر أن يهرب من لبنان[١٨] إلى مقاطعة كسروان البعيدة وقضى أجله في وسط الشدائد. إلا أن بشرى ما جرى بعد ذلك خفّف علينا ثقل الحزن وهو أن مطران قبرس إسطفانس الإهدني الذي قدم سابقًا إلى زيارة الأماكن المقدّسة وكان قدوة للزائرين وكثيرون من إخوتنا عرفوه وشهدوا بما ألفوا فيه من سعة المعارف وطهارة السيرة وإصابة الرأي انتخبه عموم الطائفة ورفعوه إلى المقام البطريركي السامي. وكنت أرجو أن يأتيه التثبيت من قداستكم بوقت قريب. غير انه ورث من سلفه الاضطهاد ومشقاته مع الدرجة البطريركية العالية. لا بل ان حمله ثقل من الديون المتروكة على الكرسي وشدة الظلم جعلته أن يهرب إلى حيث كان سالفه ويترك شعبه. فصار بنو رعيته تائهين في البلاد كالغنم بين الذئاب الخاطفة. وقد علمت وتمزقت كبدي من هذا الخبر ان البطريرك المذكور باقٍ في المنفى في وسط ضيقات كبيرة وانه لم يرسل أحدًا بعد لطلب التثبيت من قداستكم لكنه مستعد أن يوفد قصادًا بفرصة قريبة. وإذ انه ليس بوسعي أن أرافقكم بذاتي اصحبتهم برسالتي هذه مقبلاً بكل خشوع أقدامكم المقدسة ويا ليتني أتمكن من المثول بذاتي بين أيديكم. فأترجى حلمكم أن تتكرموا بالتعزية وتمدوا يد المساعدة إلى خادم مثل هذا مخلص الطاعة للكرسي الرسولي المقدس وقد رضع في صباه لبان العلوم والإيمان من الينبوع

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[١٨] من المعلوم أنّ كسروان كان يعرف قديمًا بالبلاد الخارجية ويليها الفتوح شمالاً ثمّ البلاد الداخلية وهي لبنان في عرف تلك الأيام.

الروماني. وتشفقوا على هذه الرعية الكاثوليكية لأن انكسار شوكتها مضرّ جدًا بشرف اسم الكنيسة الرومانية.

تحرر في دير المخلص المجيد[١٩] في ثالث يوم من آذار سنة ١٦٧١".

من هذه الكتابة النفيسة يتضح جليًا ان البطريرك إسطفانس حال ارتقائه إلى السدة البطريركية لقي مع الديون الباهظة التي تركها سلفه المتفي صعوبات من قبل الحكام وأبناء الطائفة نفسهم: هذا كان ميراثه في البطريركية شأن كل الذين تعطى لهم المقامات العالية في البيعة. وإلى بعض ذلك تشير كتابة منصرف طرابلس التي أثبتناها قبلاً. ثم عظمت البواعث انه اضطر أن يهرب إلى كسروان وكان وقتئذ كبلاد غريبة في عين الموارنة لأنهم بعد أن سكنوه في القديم[٢٠] وحُرق ونهب استوطنه المسلمون وبعد ذلك أخذ النصارى يرجعون إليه رويدًا ويشغلون أراضيه الجدباء لما اعتراهم الضيق والاضطهاد في وطنهم الحقيقي الذي هو إلى شمال نهر ابرهيم. ومن جهة أخرى تيسر لإسطفانس المجيء عند الشيخ أبي نوفل الخازن لإزالة ما كان حصل له من الغيظ بعد انتخاب البطريرك الجديدي. ووقوع هذا المجي اثر تعيين الشيخ المذكور من السلطان سليم العثماني حاكمًا على مقاطعة كسروان ومزارعها[٢١]. وترقية الشيخ أبي نوفل إلى مثل هذا المنصب دليل لنا على ان كل ما كان يلحق الموارنة من الاضطهاد والضيق انما كان بغير علم الدولة العلية ولا يسوغ أن ينسبه المتأخرون إلا إلى أشخاص فضلوا على الظلم وسفك الدما وارتكاب جميع المنكرات بحسب ما تسوقهم أهواؤهم وتولوا تدبير الرعية بغير أهلية ولا فضل. وسنتعرض في موضع آخر لذكر شيء من مآثرهم السمجة لا حبًا بالتنديد بالمنتحين بل خدمةً للحق وإيضاحًا لحالة هذه الديار اللبنانية في تلك الأيام الغابرة التي نتمنّى من صميم القلب أن لا تعود إليها.

وإذا سأل سائل لماذا كتب ورديان الأماكن المقدّسة الرسالة المثبتة آنفًا نجيب أن رئيس أديار القديس افرنسيس في الأرض المقدّسة استمرّ طويلاً وسيط رؤساء الطائفة المارونية في المراسلة مع الكرسي الروماني المقدّس وكان الأحبار الرومانيون بناء على التماس بطاركتنا أرموه قديمًا أن يوجه في كل فرصة بعض رهبانه الغيورين إلى لبنان ليحملوا للموارنة عربون البركات الرسولية ويرشدوهم ويعلموهم حقائق الإيمان ويثبتوهم في الدين القويم الكاثوليكي. وكان مقر

https://patriarchdouaihy.com/Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[١٩] نرجح أنّه حرّره من بيروت لأنّ دير الفرنسيسكان فيها كان على اسم المخلّص وتاريخ هذه الكتابة كما يرى القارئ يسبق تاريخ رسالة الدويهي الآنفة الذكر.

[٢٠] هذا رأي بعض المؤرّخين وذهب غيرهم إلى أنّ الموارنة لم يستوطنوا كسروان قبل القرن الخامس عشر. راجع النبذة النفيسة التي وضعها سيادة المطران يوسف دريان في المردة والجراجمة واورد في ذيلها البراهين التي ترجح وجود الموارنة قديمًا في كسروان.

[٢١] هذه المزارع تعرف اليوم بالقاطع وتتبع قضاء المتن.

رئيس رهبان مار افرنسيس وجنسه ولغته تمكنه من مقابلة الزائرين من الافرنج وتجارهم وسفر رهبانه إلى أوربا ومجيء غيرهم إلى المشرق كان طريقة أمينة لإيصال المكاتبات إلى مرجعها. ومن الأسباب التي حملت الرهبان اللاتينيين على الاهتمام بهذه الطائفة وقضاء مصالحم رابطة الدين ومشاطرة المصائب وقد كنا وقتئذ في كل المشرق الطائفة الوحيدة الطائعة لكرسي رومة والمتحدة مع الغربيين باتحاد الدين المشدد. إلى غير ذلك من الأسباب.

وبعد أن أعدت الكتابات السابق ذكرها توجه الخوري يوسف شمعون قاصدًا رومة العظمى وكان سفره في أواخر الصيف سنة ١٦٧١. ودخل أم المدائن في اليوم العاشر من شهر تشرين الآخر من السنة المذكورة. وغب وصوله شرع في المخابرات بخصوص تثبيت البطريرك واخذ الباليوم. وإذ كان على ذلك ورد من لبنان كتابات ووشايات إعاقته وأبعدت اجل الرجوع. ولا جرم ان عدو البشر ومبغض الخير لما رأى فضائل إسطفانس وقدّر الحسنات التي كانت مزمعة أن تجري على يده والنفوس التي كانت مزمعة أن تخلص بعنايته حرّك ضده بعض الحسودين وحملهم على المعارضة في انتخابه وطلب إنزاله من المقام البطريركي. ولعمر الحق ان الذنب كله ليس على الشيطان بل على مطاوعيه وهم كثيرون في العالم وأكثر من سائر الأمكنة في هذه الديار التعيسة فإن الذل حصل فيها من الاستعباد. والذل يلد الضعف. والحسد نتيجة الضعف في النفوس. لذلك ترى ضعف الخلاق وقلة المروءة عند كثيرين وترانا حسودين لا نطيق الخير إذا صنعه غيرنا وعاد عليه الثناء وحسن السمعة. هذا الحسد برهان سديد على ضعف العقل والإرادة لأن العاقل إذا شاهد الصلاح اعترف به ولو كان في أعدائه وإذا رأى الحسنات اجتهد أن يعملها ويضاهي الآخرين بأعماله ولا يحزن لخير القريب حتى وجلّ الثواب والمدح على غير أهله. أما نحن الشرقيين فقد حسبنا الحكمة أمثالاً نوردها ونهذب بها نفوسنا وجعلنا الفضل في النجاح واكتفينا من الشرف بالمراتب. فلم نهتم بإدراك الخصال الحميدة وامتلاك الصفات الجوهرية والمناقب الخفية التي بها يتميز الالماس من الزجاج والدر من الصدف والعلم الحقيقي من الثرثرة والفضيلة من التظاهر بها. وفطرنا على المؤامرة والدسائس واجزنا الوسايط اية كانت إذا ما أوصلت إلى الغاية. فبئس التربية وبئس الأخلاق. وهذه العوائد الذميمة لم تنحصر برجال العالم بل ولجت قدس الأقداس واستولت على كثيرين من الذين اتخذوا الاحتقار شرفًا والاتضاع رتبة وخدمة الله وحده غاية فلا يستغرب القاري ان لم نتمالك عن بث هذه الخواطر إذ رأينا أناسًا لم يحفل بأسمائهم التاريخ ولم يحفظها قاموا على جهبذٍ كالدويهي وأرادوا أن يضعوا تحت المكيال سراجًا لا بل كوكبًا أنار الشرق بأشعة نوره الساطع ولسنا ندري ما كانت حجتهم عليه هل وجدوا أفضل منه قداسةً أو أوسع منه معرفة أو أشد منه غيرة ونشاطًا.

http://patriarchdouaihy.com/Eldest-Zgharta
Maronite Patriarchal Eparchy

وليست هذه التهمة رواية وهمية. قال سمعان عواد: إن البعض من المطارنة والأعيان اجتمعوا واعترضوا على رسامته وأحدثوا سجسًا عظيمًا في الطائفة كلها ومن جراء ذلك اقتضى ان القس يوسف الحصروني يمكث في رومة مدة طويلة من الزمان. ولما اطلع الدويهي على ذلك ارتاب في دعوته وظن ان الله لا يريده في هذا المنصب السامي واكتفى بهذه الإشارة والمقاومة ليضحي بذاته مظهرًا لله وللناس نبالة مقاصده وقداسة رغائبه ووداعة روحه الطاهرة. فكتب لقاصده أن يرجع دون التثبيت. ولا شك انه وطد العزيمة على التنزل عن البطريركية. وما كان الأمر سوى امتحان من الله كتجربة ابرهيم أو بطرس الرسول لما أوشك أن يغرق في الأمواج التي أمره المسيح أن يمشي عليها. لأنه لما أراد أن يختم رسالته لم تطبع صورة الخاتم ولم يلصق الحبر بالقرطاس. فحاول ذلك ثلاثًا ولم ينجح فحسب الأمر آية ان ارتقاءه كان من قبل الله وطأطأ رأسه مطيعًا. وروت بعض النسخ أنه أرسل كتابه خير مختوم. وبعد أن امتحنه الله وأظهر للجميع نزاهته وسمو فضائله أنعم عليه البابا إقليمس العاشر ببراءة التثبيت وكان ذلك بتاريخ ٨ آب سنة ١٦٧٢.

وإليك تعريب البراءة الرسولية المحفوظة في أصلها إلى اليوم في خزانة الكرسي البطريركي.

"إقليمس الأسقف عبد عبيد الله

إلى الأخ المحترم إسطفانس الإهدني مطران نيقوسية سالمًا. انتخب بطريركًا انطاكيًا على الطائفة المارونية السلام والبركة الرسولية.

https://patriarchdouaihy.com/Ehden-Zgharta Maronite Patriarchal Eparchy

إذ اننا بتدبير نعمة الله الذي بعنايته الغير المدركة يرتب سائر الأمور رفعنا إلى هذه الدرجة الرسولية دون استحقاق يؤهلنا إليها ننظر إلى سائر كنائس العالم ونبذل انعطافنا الأبوي في أمر سياستها كان من اللائق أن ننظر خصوصًا في أمر الكنائس التي لا راعي لها لنكل تدبيرها إلى رعاة أكفاء كما يشتهي قلبنا كي يقودوا في طريق الخلاص الشعوب الموكولة إليهم بكل تيقظ وبكل عناية وسهر ويرشدوهم ويحسنوا سياسة ما يخص هذه الكنائس من الخيرات الزمنية ويزيدوها ما أمكنهم. فالكنيسة البطريركية الانطاكية المارونية كان يرأسها ما دام حيًا الطيب الذكر البطريرك جرجس من بسبعل الذي وفى حق الطبيعة المائتة وانتق من هذه الحيوة خارجًا عن البلاط الروماني. وقد فقدت بموته راعيها ومعزيها. فاجتمع حضرة إخوتنا المطارين والأساقفة وأولادنا العزاء إكليروس الطائفة المارونية وأنت أرسلت ملتمسًا أن نتنازل ونثبت الانتخاب أو الترشيح الواقع على شخصك. وبما أنك توليت سابقًا تدبير كنيسة نيقوسية وقمت بها خير مقام

أملنا أن الرب يعطيك المعرفة والإرادة والقدرة لتدبر في سبيل الخلاص كنيسة البطريركية وتحسن سياستها. ونحن بقوة أسطرنا هذه نحلك ونريد أن تكون معتوقًا في المستقبل من كل حرم ورباط ومن سائر الأحكام الكنسية والتأديبات والقصاصات إذا كنت تحت طائلة شيء منها. سواء كانت صادرة من الشرع أو من شخص ولأي علة كانت بموجب أمرنا الذي أصدره مجمع نشر الإيمان الذي كلفناه بفحص عريضتك. وبكتابنا هذه بعد استشارة إخوتنا المحترمين كرادلة الكنيسة الرومانية المقدسة قد ثبتنا بالسلطان الرسولي الانتخاب أو الترشيح الواقع على شخصك كما تقدمنا وأقمناك بطريركًا وراعيًا للكنيسة البطريركية الانطاكية الآنف ذكرها. وسلمناك تدبير وإدارة الكنيسة البطريركية الانطاكية المذكورة بكمالها في الروحيات والزمنيات. ونرجو من معطي النعم وموزع الجزاء أن يرشدك في جميع أعمالك إلى أن تصون الكنيسة البطريركية الانطاكية من المضرات بسهرك واجتهادك وتحميها من الأعداء فتنمو في الروحيات والزمنيات. فاقبل على عاتقك نير الرب بنشاط واجتهد في التدبير والسياسة بغيرة وأمانة وحكمة لتفرح الكنيسة البطريركية إذ ترى ذاتها بيد رئيس ماهر ومدبر ساهر فتحصل أنت على الجزاء الأبدي وتحوز بركتنا ورضانا الكرسي الرسولي.

ثم نأمر بكتابتنا هذه الرسولية إخوتنا المحترمين الأساقفة معاونيك وأولادنا الأعزاء كهنو الديوان البطريركي والأعيان الذين ضمن حدود هذه البطريركية والعيان الذين ضمن حدود هذه البطريركية والإكليرس والشعب الطائع لهذا الكرسي أن يعتبروك الساقفة كالأعضاء للرأس وأن يعتبرك كهنة الديوان أبًا لنفوسهم وراعيًا لها. ويقدموا لك الطاعة والإكرام الواجب بالإخلاص لتأخذ النعمة بينك وبين معاونيك مآخذها المرضية فيمكننا أن نمدح بإخلاصهم. وليقبلك جمهور الإكليرس بما يجب لنا وللكرسي الرسولي المقدس من الاحترام وليظهروا لك التوقير ويرضخوا لإرشاداتك وأوامرك بوداعة ويسيروا بموجبها. وليقتبلك الشعب كأب نفوسهم وراعيها وليقدموا لك كل الإكرام ويصغوا لإرشاداتك وأوامرك العائدة لخلاصهم بخضوع فيكونوا حقيقة بنين مخلصين وتكون لهم أبًا حنونًا وتفرحوا بذلك جميعكم وعلى الأعيان الذين ضمن حدود الكرسي الانطاكي أن يحترموك أيضًا الاحترام الواجب ويحفظوا الأمانة المألوفة ويخدموك الخدمة المعتادة ويقيموا ما لك عليهم من الحقوق. ومن خالف ذلك وأشهرت عليه القصاص القانوني نثبت حكمك عليه ونجبره بمعونة الرب على تقديم كفارة لائقة. ونرغب إليك أن تبرز بأقرب ما يكون صورة التي سيأتي بيانها وتعد بالمانة الواجبة حسب منطوق الصورة التي في طي هذه البراءة ويكون ذلك لدى أحد المطارين أو الأساقفة وترسل كلا الصورتين إلى الحاضرة ضمن الوقت المعين ولا ترتد الباليوم قبل أن يتم ذلك. أما صورة الإيمان فهي هذه: أنا إسطفانس الإهدني مطران نيقوسية سابقًا المنتخب بطريركًا انطاكيًا على الطائفة المارونية أؤمن إيمانًا ثابتًا وأعترف إجمالاً وإفراديًا

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Epatchy Ehden-Zgharta

بكل ما يحواه قانون الإيمان الذي تستعمل تلاوته الكنسية الرومانية المقدسة أي إني أؤمن بإله واحد أب قادر على كل شيء صانع السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد... (إلى آخره كما في القانون النيقاوي).. ثم أحترم واقبل كل المجامع العامة الآتي بيانها: أعني المجمع النيقاوي الأول وأعترف بكل ما حدده ضد أريوس اللعين أي أن سيدنا يسوع لامسيح هو ابن الله ومولود من الآب... والقسطنطيني الأول (وهو المجمع المسكوني الثاني في العدد) وأعترف بما قرّره ضد نسطوريوس... والخلقيدوني (وهو الرابع بين المجامع) وأعترف بما حدّده ضد اوطيخي وديسقورس اللعين ذكرهما... والقسطنطيني الثاني (وهو المجمع الخامس).. والقسطنطيني الثالث.. والنيقاوي الثاني.. والقسطنطيني الرابع (وهو الثامن في العدد) وأعترف ان فوتيوس شجب عدلاً وان القديس اغناطيوس ردّ إلى كرسيه بالحق. وإني أحترم وأقبل سائر المجامع المنعقدة بأمر الحبر الروماني والمثبتة بسلطانه وبالخصوص المجمع الفلورنتي... أحترم أيضًا وأقبل المجمع التريدنتي وأعترف بكلما حدده وقرره...

ثم إني أقبل وأعترف بكل ما يعترف به وتقبله الكنيسة المقدسة الرومانية. وكل الانشقاقات والارطقات التي ترذلها هذه الكنيسة وتعضلها وتحرمها أنا أيضًا أرذلها وأرفضها وأحرمها. ثم إني أعد تحت اليمين بالطاعة الحقيقة للحبر الروماني خليفة الطوباوي بطرس زعيم الرسل ونائب يسوع المسيح معترفًا ومقرًا دون إكراه بهذا الإيمان الإيمان البيعة الكاثوليكية التي لا يستطيع أحد أن يخلص خارجًا عنها وبمعونة الله أحفظه وأعترف به في المستقبل بكماله وتمامه إلى آخر رمق من حياتي وأحمل الذين تحت سلطاني والذين أتولى أمرهم على حفظه وتعليمه ونشره بحسب إمكاني. أنا إسطفانس الإهدني أعد بهذا القسم: فليساعدني على ذلك الله وهذه الأناجيل الطاهرة"[٢٢].

https://patriarchdouaihy.com/Ehden-Zgharta-Maronite Patriarchal Eparchy

ثم بعد ذلك أي في بحر شهر كانون الأول أنعم الحبر الأعظم السابق ذكره على يد معتمد البطريرك إسطفانس الباليوم أي ردع كمال السلطان الحبري. والباليوم نسيج من صوف يجمع حول العنق فيطوقه ولهذا الطوق طرفان ينزل أحدهما على الصدر والآخر على الظهر يزينهما صلبان سود. وصوف هذه الدرع يؤخذ من حملين أبيضين يقدمهما قانونيو مار يوحنا لاتران كل سنة للحبر الأعظم ويبارك عليهما في كنيسة الشهيدة أغنس يوم عيدها[٢٣] ثم يُعنى بتربيتهما ورعايتهما راهبات القديس لورنسيوس ويجز صوفهما يوم خميس الأسرار وينسج دروعًا توضع يوم

[٢٢] أعطي بقرب القديسة مريم الكبرى سنة ١٦٧٢ للتجسد الإلهي في اليوم الثامن من شهر آب. السنة الثالثة لحبريتنا.
[٢٣] في ٢١ كانون الآخر.

عيد مار بطرس على قبره المعروف بشهادته وتبقى هناك إلى ثاني يوم العيد ولذلك يقال انها أخذت عن جسد القديس بطرس[٢٤].

وفي الرسالة الثانية التي وجّهها الحبر الأعظم للبطريرك إسطفان بخصوص الباليوم المشار إليه يشير أولاً إلى تثبيته على الكرسي الانطاكي كما تقدّم ثم يتكلّم عن الردع ويقول: "أما اليوم فقد طلب الباليوم باسمك المعتمد الذي أرسلته لدينا ولدنا العزيز يوسف الحصروني قسيس الكرسي الانطاكي بما يليق من الاحترام. فأجبنا طلبك وأخذنا الباليوم عن جسد القديس بطرس الرسول وسيحمله إليك معتمدك الآنف ذكره ليلبسك إياه الأخوان المحترمان مطران العاقورا[٢٥] ومطران حلب[٢٦] أي ان المذكورين أو أحدهما يقلدانك (أو يقلدك) إياه بموجب الصورة الآتية ويقبلان (أو يقبل) منك باسمنا وباسم الكنيسة الرومانية قسم الأمانة كما هو مذكور أدناه. ولك أن تلبسه في الكنيسة البطريركية المومى إليها في الأيام المعينة في الانعام المعطى من الكرسي الرسولي لهذه الكنيسة فقط. ونوصي إخوتك ونناشدك أن يكون الرمز طبق المرموز وأن تحفظ في الباطن ما تحمل علامته خارجًا أي أن تتطرس التواضع والعدل بنعمة الرب الذي يعطي الجزاء ويوزع المواهب لأن هذه الفضائل تحفظ حافظتها وترشده. وأن تعنى كل العناية متكلاً على الله بنمو الكنيسة البطريركية التي صارت لك عروسًا في الأمور الروحية والزمنية. وبكتابتنا الرسولية نأمر المطرانين المشار إليهما أو أحدهما أن يقلداك (أو يقلدك) الباليوم بموجب الصورة الآتية ويقبلا (أو يقبل) أحدهم منك باسمنا واسم الكنيسة الرومانية عهد الأمانة كجاري العادة وترسل لنا بأقرب ما يكون على يد قاصدك صورة الأمانة المذكورة بكتابة مقفولة ومختومة بخاتمك. أما صورة تسليم الباليوم فهي هذه: لإكرام الله القادر على كل شيء والطوباوية الدائمة البتول والقديسين الرسولين بطرس وبولس وسيدنا البابا إقليمس العاشر والكنيسة الرومانية المقدّسة وكنيسة الكرسي الانطاكي للطائفة المارونية الموكولة إليك نسلمك الباليوم المأخوذ عن جسد القديس بطرس وهو علامة كمال الرياسة الحبرية لتلبسه ضمن كنيستك في اليام المعينة في الانعامات الممنوحة من الكرسي الرسولي. أما صورة اليمين التي تقسمها فهي هذه: أنا إسطفانس الإهدني مطران نيقوسية سابقًا المنتخب بطريركًا انطاكيًا على الطائفة المارونية أكون من هذه الساعة وما بعد امينًا وطائعًا للطوباوي بطرس وللكنيسة الرومانية المقدسة ولسيدنا البابا مار إقليمس العاشر ولخلفائه الشرعيين ولا أوافق لا بالمشورة ولا بالموافقة أو بالفعل على قتلهم أو قطع عضو من أعضائهم أو على القبض عليهم عنوة. وإذا أطلعوني على سرهم شفاهًا أو بواسطة قصادهم وكتاباتهم فلا أبوح

https://patriarchdouaihy.com/Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[٢٤] راجع مجلة المشرق سنة ١٨٩٩ ص ٦٢٥.
[٢٥] اي المطران جرجس حبقوق البشعلاني.
[٢٦] المطران جبرايل البلوزاني.

بـه لأحـد بمعرفتـي إذ كـان لهـم مـن ذلـك مضـرة. وإنـي أسـاعدهم علـى المحافظـة علـى الرياسـة الرومانية وعلى مملكة القديس بطرس بالمدافعة عنهما ضد كل إنسان. وإني أقبل قاصد الكرسي الرسولي في ذهابه وإيابه وأكون له معينًا في الحاجات. وإذا دعيت إلى المجمع سأحضر إلا إذا أعاقني مانع شرعي. وإني سأزور الأعتاب الرسولية كل خمس سنوات بذاتي أو بواسطة رسول إلا إذا رخص لي بخلاف ذلك ولا أبيع أولاك الكرسي البطريركي ولا أهبها ولا أرهنها ولا أضعها تحت ولاية أحد ولا أتخلى عنها بأي نوع كان دون استشارة الحبر الروماني. وإني أحفظ البراءة الصادرة سنة ١٦٢٥ في ما يخص تسليم أملاك الكنائس الصغيرة التي تحت ولايتي. فليساعدني الرب وهذه الأناجيل الطاهرة[٢٧].

أما القس يوسف شمعون الحصروني فلم يرجع إلى الشرق حالاً بعد الحصول على براءة التثبيت والباليوم لكنه استمر في رومة منتظرًا منتهى فصل الشتاء وقدوم أيام الربيع خوفًا من أخطار البحر المريعة. وقبل أن يبارح حاضرة الكثلكة العظمى منحه الأب الأقدس إقليمس العاشر رسالة أخرى أراد أن تكون للبطريرك الحصروني ولشعبه المختار عربون اهتمامه الأبوي وانعطافه الجزيل وحمايته الخصوصية لهذه الطائفة وهذا تعريبها:

"إقليمس البابا العاشر

أيها الأخ المحترم السلام والبركة الرسولية

إن محبتنا الأبوية لك وللطائفة المارونية الجزيلة التقوى لم تدع ولدنا العزيز يوسف الحصروني الذي وجهتموه إلينا لأجل طلب التثبيت أن يعود إليكم دون أن نسعفه بعبارة الاستمالة نحوكم ونحو كل الخاضعين للكرسي الرسولي في جهاتكم. وقد حركنا حبنا لطائفتكم العزيزة إلى أن نوصي بها غيرتك إذ انك راعيها. ولكوننا نسهر دائمًا على حفظها نأمر تقواك أن تعنى بنشر عبادة الله في القطيع الموكول إليك أمره. فإذا عكفت باجتهاد على إتمام هذا العمل الرفيع الشان تكون قمت بأعباء الوظيفة التي تشرفت بها. ونحن كلما سنحت الفرصة نبلغك تمام رضانا بكتابات خصوصية. وإننا ننتظر من سمو فضائلك اثمار سرور غير زائلة وعلى هذا نعانقكم أنت وكل المؤمنين بالمسيح الذي تحت ولايتك ونعدكم جميعًا بمدّ حمايتنا إليكم في تلك الأقطار ومن صميم فؤادنا نمنحكم البركة الرسولية.

https://patriarchdouaihy.com/ | Maronite Patriarchal Eparchy Ehden Zgharta

[٢٧] أعطي برومة بقرب القديسة مريم الكبرى في ٢ كانون الأول سنة ١٦٧٢ وهي الثالثة لحبريتنا.

أعطي برومة بقرب القديسة مريم الكبرى تحت ختم الصياد في اليوم العشرين من أيار سنة ١٦٧٣ وهي الرابعة لحبريتنا".

وفي تاريخ سنة ١٦٧٣ أيضًا سلم الحبر الأعظم إقليمس العاشر إلى القس يوسف الحصروني المذكور رسالة باسم الشيخ نوفل الخازن يمدح بها سعيه المتواصل في نشر الإيمان الكاثوليكي ويظهر له الانعطاف والإجلال[٢٨].

وفي مسودة تاريخ الأزمنة: "سنة ١٦٧٢ (والصحيح ١٦٧٣) كانت عودة قاصدنا القس يوسف بن بربور من رومة في ٦ تشرين الأول وجاء بالتثبيت لنا والكوليرية الرومانية لاشبينينا الشيخ أبي قنصوه وأخيه الشيخ أبي ناصيف الخازنين."

فاتنا أن نقول ان البطرك إسطفان لفرط حبه واعتباره للمدرسة الرومانية ولاجتهاده في تهذيب إكليروس الطائفة أخذ يسعى منذ يوم ارتقائه السدة البطريركية في أمر نجاح المدرسة المذكورة وفي سنة ١٦٧٠ بلغه أن المدرسة في حاجة إلى تلاميذ فأرسل إليها حالاً مع فراجوان من معاملة البيامُنت[٢٩] الذي كان حبيسًا في دير مار الهنا تحت حصرون ستة أولاد وهم يعقوب الحصروني ابن الخوري حنا عواد وسنتكلم عنه فيما بعد إن شاء الله. وجرجس بن سركيس من بيت عبيد من إهدن[٣٠] وجرجس ابن مناع الذي انتقل إلى جوار ربه في دير مار يوحنا ريشميا سنة ١٦٩٠. وابرهيم بن خيرالله بن جحوه الغزيري[٣١] ويوسف بن اسكندر القرطباني الذي بعد عودته إلى لبنان سيم قسيسًا على مذبح سيدة قنوبين سنة ١٦٨٧[٣٢]. أخيرًا عبدالله بن باسيل البجاني من بيت شباب وهذا تزوج وسيم كاهنًا على القرية المذكورة واجتهد كثيرًا في إرشاد النفوس وتعليم الأولاد وجدّد كنيسة القرية ثم صار أسقفًا على رطابلس واسمه بين آباء المجمع اللبناني غير انه لم يحضر المجمع بذاته لعجزه وتوفي في تشرين الثاني سنة ١٧٣٦.

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

---

[٢٨] تاريخ الطائفة المطبوع ص ٢٤٣.

[٢٩] في شمالي إيطاليا.

[٣٠] ثم دخل الرهبنة اليسوعية وتوفي في مدينة رومة وهو المعروف بجرجس بنيمين وهذا خرج من المدرسة سنة ١٦٨٣ وسيم قسيسًا على سيدة الحارة السفلى في إهدن في اليوم السابع من تشرين الآخر ولما توفي المطران بولس الدويهي أقيم أسقفًا على كرسي إهدن وبنى أقبية ومساكن في قلعة زغرتا لسكن الرهبان وتعليم الأولاد.

[٣١] وهذا برح المدرسة سنة ١٦٤٨ وسار إلى ريشميا واعتنى ببناء دير مار يوحنا الذي أقامه في تلك الآونة الشيخ أبو صابر من القرية المذكورة. وترهب فيه وسيم كاهنًا سنة ١٦٨٥ وترأس على الدير المذكور كما يشهد بذلك التاريخ الذي فوق باب الكنيسة القديمة. ثمّ تولّى أيضًا رياسة دير صير بعد تسليمه دير مار يوحنا للرهبنة أي بعد عودته من حلب. ثمّ سافر إلى رومة مع مخائيل المطوشي القبرسي وسعى بالاشتراك معه في حفر أحرف سريانية للطبع ونشرًا سوية في جبل فيسكون الشبية وخدمة القداس ومزامير الصلوة ورجع إلى سورية سنة ١٧٠٠ وسنة ١٧٠١ توجه إلى حلب مع الخوري بطرس التولاني الشهير.

[٣٢] عينه البطرك إسطفان كاتبًا في الكرسي. وكان لين العريكة ومثال الطاعة كما يخبر عنه البطريرك إسطفان. وفي العشرين من أيار سنة ١٦٩٣ أصيب بالوباء في قنوبين وانتقل إلى راحة الأبرار.

وسنة ١٦٧١ أرسل البطريرك إسطفان مع معتمده القس يوسف شمعون الحصروني ولدين لحساب وقفية ابن شلق العاقوري[٣٣] وهما بطرس ابن سليمان مبارك من بطحا وصافي بن بولس القديسي من شننعير. فهذا الخير أتقن علم الهيئة وبعد رجوعه إلى لبنان سار إلى قرية بعقلين وكرّس حياته لتعليم الأحداث إلا أن الله لم يطل عليه زمن الامتحان فاعتراه حمى خبيثة أذاقته الردى بظرف أربعة أيام فأسف عليه كل من عرفه وكانت وفاته في شهر أيلول سنة ١٦٨٨[٣٤].

أما بطرس مبارك الذائع الصيت فكان من قرية بطحا بقرب غسطا في كسروان وأبوه لاقس سليمان مبارك الذي ترهب مع بنيه الآخرين في دير مار سركيس ريفون وأخواه المطران يوسف الذي استولى على البطريركية ولم يثبت فيها ولما انزل منها البطريرك يعقوب عواد. والمطران جبرائيل مبارك. وكان مولد بطرس في شهر حزيران ١٦٦٣ ومكث في مدرسة رومة إلى عام ١٦٨٥ وفيه عاد منها مع الخوري يعقوب عوادفي شهر كانون الأول. وسنة ١٦٨٧ أقامه البطريرك إسطفان قسًا على مذبح قنوبين وولاه خدمة النفوس في قرية غسطا. فقام بهذه الوظيفة أحسن قيام. ثم بعد ذلك أي سنة ١٦٩١ أرسله البطريرك المذكور إلى رومة لقضاء أمور لاكرسي الانطاكي وفصل الخلاف القائم مع رهبان القدس. وأرسل معه تلاميذ إلى المدرسة. وبعد أن قضى مدة في رومة ومهد الصعوبات التي كان كلف بإزالتها ذهب على مدينة فلورنسا قبل رجوعه إلى المشرق فأحبه أمير المدينة فرديناند الثالث المادشي ومسكه وأكرمه واستأذن البابا بإبقائه عنده وسلمه تدبير المكتبة المعروفة باسم المكتبة المدينة المذكورة ثم أمره بتحسين الحرف التي كان سعى بحفرها فردينند المادشي للطبع في اللغات الشرقية فلبى أمره وأجاد في كل ما ندب إليه لأنه كان جامعًا بين معرفة اللغات العبرانية والسريانية والعربية واللاتينية واليونانية وبين معرفة العلوم الطبيعية والإلهية.

https://patriarchdoualiny.com/Ehden-Zgharta-Maronite Patriarchal Eparchy

وحاز على إكرام عظيم من الميرة حنة – ماريا – الويزا ابنة قزما الثالث وهي من أشهر نساء ذلك العصر لما كانت عليه من الذكاء والاريحية وأخذت تحت ظل حمايتها كثيرين من أهل العلم والدب فكانت تثني على بطرس مبارك فيكل النوادي والمجتمعات الأدبية. وسنة ١٧٠٠ عينه الأمير قزما المشار إليه معلمًا للغات الشرقية في مدينة بيزا ووكل إليه شرح الكتاب المقدس. فنال في التدريس شهرة عظيمة حتى ان الملوك والمراء والعلماء كانوا يتحدثون بمعارفه ويثنون عليه ويفاخرون بصداقته. كما يشهد بذلك إسطفان عواد السمعاني في مقدمة المجلد الثالث من تآليف

[٣٣] إنّ نصر الله (وفي رواية رزق الله والأولى أصح) ابن شلق العاقوري وقف متروكاته لإقامة مدرسة للموارنة في راونا وساعده على إتمام هذا المشروع الكردينال كبرني محامي المدينة وسنة ١٦٦٤ ألغيت هذه المدرسة وضبط المجمع المقدس وقفية ابن شلق وتعهد بدفع ما يلزم لتربية ولدين من الطائفة في مدرسة رومة زيادة عن الذين كانت المدرسة تقوم بتربيتهم.

[٣٤] عن تاريخ تلامذة رومة للدويهي.

مار افرام[٣٥]. وسنة ١٧٠٧ في شهر تشرين الثاني استماح الإذن بالدخول في الرهبنة اليسوعية. وكان قبل انخراطه في السلك الرهباني أوقف ماله على الطائفة المراونية وأقام لها مدرسة في قرية عينطورا تسلم تدبيرها الآباء اليسوعيون واستمرت بيدهم إلى ملاشاة الجمعية سنة ١٧٧٣ وحينئذ عادت للطائفة. وبعد أن كمل زمن الابتداء في رومة عينه البابا في عدد فاحصي الكتب اليونانية المقدمة للطبع وعوّل الجميع على قوله ورأيه. وكان أثناء ذلك يدرس الكتاب المقدس ويعظ ويرشد بعض أديار الراهبات ويزور المسجونين ويباشر نحوهم أعمال الرحمة بأنواعها. ثم انه بايعاز الكردينال كويريني أمره الب فرنسيس رتز أب عام الرهبنة اليسوعية أن ينقل تاليف مار افرام إلى اللاتينية فامتثل أمره وشرع في العمل باجتهاد ونشاط. وحرّم عينه النوم والراحة ولم يشفق على ذاته في خدمة الدين والعلم. وكان ابتداؤه بهذا المشروع سنة ١٧٣٠ فنشر المجلد الأول والثاني ولما باشر الثالث اعتراه مرض عضال وانتقل إلى الراحة الأبدية والسعادة الخالدة في شهر أيلولسنة ١٧٤٢ وكان عمره نحو ثمانين سنة. كان سامي العقل قوي البنية رقيق الطبع محبوبًا من كل من عرفه ورعًا في خدمة الله تعالى. وله غير ترجمة مار افرام ترجمة كتاب المنائر والمحاماة للدويهي وبعض كتب طقسية نقلها من اليونانية إلى اللاتينية ومقالتان أخريان ردًا على بعض كتبة الافرنج[٣٦].

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[٣٥] ص ١٣.

[٣٦] عن تاريخ تلامذة رومة للدويهي ومقدمة المجلد الثالث من تآليف مار افرام للمطران إسطفان عواد السمعاني – راجع أيضًا مكتبة الجامعة اليسوعية المجلد الأول ص ١٢٩٥ – ١٢٩٨
Baker et Sommervogel, Biblioth. de la Compagnie de Jésus.